

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ



النزل: مكية.

المقصود:

- ١ - تقرير التوحيد، وإقامة البراهين على وحدانية الله تعالى.
- ٢ - بيان أهم صفات المؤمنين.
- ٣ - تقرير البعث والحساب بالأدلة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿فَدَأْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْلَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلرَّكُوعِ فَنَعْلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفِرْجِهِمْ حَفَظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكُتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنْ أَبْتَغَنِ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ هُوَ لِأَمْنَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾﴾

التفسير:

٤ - ٤ - يُبَشِّرُ الله تعالى المؤمنين بوعده أنَّ لهم الفوز بالفردوس الأعلى في الجنة، للذين أَقْرَأُوا الله بالوحدانية ولرسوله بالرسالة، والذين هم في صلاتهم خائفون متذلّلون لله، وهم عن كل ما لا خير فيه منصرفون، والذين هم محافظون على أداء الزكاة للمستحقين لها .

٥ - ٧ - والذين هم لفروجهم حافظون من الحرام، إلا على أزواجهم أو ما ملكوا من الإماء، فإنَّهم لا إثم عليهم في الاستمتاع بهنَّ، فمن تَمَّتَّعَ بغير الأزواج والإماء فأولئك البعيدون عن الحق، هم المتعذدون حدود الله تعالى .

٨ - ١١ - والذين هم يَرْعَونَ الْأَمَانَاتَ وَيَوْفُونَ بِالْعَهْدِ، والذين هم على صلاتهم يُواطِبُونَ في أوقاتها وتمام أركانها. أولئك أصحاب المنازل العالية هم الوارثون الجنة، الذين يَرِثُونَ أَفْضَلَ منازلها، وهم مقيمون فيها على الدَّوَامِ.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ما منكم من أحد إلا له منزل في الجنة، و منزل في النار، فإذا مات، فدخل النار، ورث أهل الجنة منزله، فذلك قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَرِثُونَ﴾».

(سنن ابن ماجه ١٤٥٣/٢ - كتاب الزهد، باب صفة الجنة برقم ٤٣٤١). قال البوصيري: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين (مصابح الزجاجة ٣٢٧/٣) وأخرجه الطبرى من طريق أبي معاوية به (التفسير ١٨/٥ - ٦)، وصحح إسناده ابن حجر (الفتح ١١/٤٤٢)، وصحح إسناده الألبانى (السلسلة الصحيحة ٣٤٨/٥ برقم ٢٢٧٩).

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ مِئَةً دَرْجَةً أَعْدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرْجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَاسْأَلُوهُ الْفَرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْجَنَّةِ وَأَعْلَمُ الْجَنَّةِ». (صحيح البخاري كتاب: الجهاد، باب: درجات المجاهدين في سبيل الله برقم ٢٧٩٠).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تأكيد الخبر بـ ﴿قَد﴾ في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ لإفادته التحقيق.
- ٢ - بيان صفات المؤمنين التي فيها فلاحهم.
- ٣ - وجوب الخشوع في الصلاة وأهميته.
- ٤ - قضاء الشهوة إنما يكون بالحلال، وتحريم تجاوز حدود ذلك.
- ٥ - وجوب أداء الأمانة.
- ٦ - بيان أهمية الصلاة، فيها بدأ ذكر صفات المؤمنين وبها ختم.
- ٧ - الإتيان باسم الموصول ﴿الَّذِينَ﴾ عند ذكر كل صفة للإشارة إلى أن كل واحدة منها موجبة للفلاح.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَاسَنَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضِيْفَةً فَخَلَقْنَا الْمُضِيْفَةَ عَظِيمًا فَخَلَقْنَا الْعَظِيمَ لَهُمَا شَرْأَنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلْقَيْنَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يَسْتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبَعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾

التفسير:

- ١٢ - يفصّل الله تعالى أطوار خلق الإنسان، ومقومات الحياة التي

سخرها للإنسان من الأنعام والنبات؛ لبيان عظمة قدرته وسعة رحمته، كما في الآيات الإحدى عشرة التالية: قسماً لقد خلقنا آدم من شيء مُستَلِّ من الطين، ثم خلقنا نسل آدم من مَنِيٍّ يقذفه الرجل في رَحْم زوجته؛ ليستقر المني في هذا الرحم الحصين، ويحصل فيه التلقيح والإخصاب.

١٤ - ثم صَيَرْنَا النطفة قطعة دم جامدة لينة، شبيهة باللقمتين التي تُمضغُ بين الأسنان، ثم صَيَرْنَا قطعة اللحم اللينة عظاماً، ثم كسونا العظام لحمًا، بإنبات اللحم حول كل عظم بما يناسبه، ثم صَيَرْنَاه جنيناً خلقاً آخر، بنفح الروح فيه بعد مضي أربعة أشهر في رَحْم أُمِّه، فعَطُّمَتْ خيرات الله وتقدَّست قدرته وكريم عنائه، الذي أحسن كل شيء خلقه.

١٥ - ثم إِنَّكُم - أيها البشر - بعد الولادة والحياة التي كَتَبَ أَجلها سبحانه لميتون، ثم إِنَّكُم بعد الموت وانقضاء زمن الدنيا تُبعثون يوم القيمة أحياءً من قبوركم للحساب.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال الدكتور محمد جميل الحبَّال: «لقد ذكر القرآن الكريم مراحل خلق الإنسان سواء بالنسبة لخلقه الأول متمثلاً بسيدنا آدم ﷺ أو خلق ذريته من بعده وذلك في آيات كثيرة أو جزء في قسم منها وفصل في القسم الآخر في أسلوب بلغ غاية في الإعجاز البشري. وبجمع هذه الآيات تتضح المراحل؛ حيث جاءت الأبحاث العلمية في أصل الإنسان ومراحل خلقه في بطن أمه متطابقةً مع ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم، ونذكر أولاً أوليات خلق الإنسان (علم أصل الإنسان)، وثانياً إلى مراحل نموه في رحم أمه (علم الجنين)، وإليكم مراحل خلق الإنسان (سيدنا آدم ﷺ):

أ- الماء: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصَهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾

[الفرقان: ٥٤].

ب- التراب: ﴿وَمَنْ أَيَّتِهِ أَنْ خَلَقْتُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنَشِّرُونَ﴾

[الروم: ٢٠].

ج- الطين: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ اِنْسَنًا مِنْ سُلَّطَةٍ مِنْ طِينٍ﴾ [المؤمنون: ١٢].

د- الطين اللازم: ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ﴾ [الصفات: ١١].

هـ - الصلصال الحما ممسنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا إِلَيْنَاهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر: ٢٦].

وـ - الصلصال كالفخار: ﴿خَلَقَ إِلَيْنَاهُ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَارِ﴾ [الرحمن: ١٤].

ففي الآية الأولى يشير القرآن إلى خلق الإنسان من الماء، ويشير في الثانية إلى التراب، ثم في الثالثة إلى سلالة من طين (الطين هو مزيج من الماء والتراب)، وفي الرابعة إلى الطين اللازم (أي اللزوج وهو مزيج التراب والماء حديثاً)، وفي الخامسة من صلصال من حما ممسنون (وهو الطين اليابس المتعفن المتغير الذي مضت عليه سنون عدة) والسادسة من صلصال كالفخار (وهو الطين المحروق المتحجر).

ويبين العلم الحديث عناصر الإنسان في تركيبته نحو (٢٢) عنصراً تتوزع على الشكل التالي:

أـ - الأوكسجين والهيدروجين على شكل الماء وبنسبة ٦٥ - ٧٠٪ من وزن الجسم.

بـ - الكARBون والأوكسجين والهيدروجين التي تشكل أساس المركبات العضوية مثل السكريات والدهنيات والبروتينات والهرمونات والفيتامينات وغيرها.

جـ - العناصر الجافة والتي يمكن تقسيمها إلى:
سبعة عناصر أساسية والتي تشكل ٦٠ - ٨٠٪ منها وهي (الكلور والكبريت والفوسفور والكالسيوم والمغنيسيوم والصوديوم والبوتاسيوم).
سبعة عناصر أخرى أقل وهي (الحديد والنحاس واليود والمنغنيز والكوبالت والتوتيا والمولبديوم).
ستة عناصر بشكل زهيد وهي (الفلور والألمانيوم والبورينيوم والسلينيوم والكادميوم والكروم).

وجميع هذه العناصر موجودة في تراب الأرض، كذلك فإن تركيب الحمض النووي DNA (الذي هو أساس تكوين الإنسان)، الموجود في

نواة كل خلية من جسم الإنسان على شكل سلاسل تسمى الكروموسومات (الصبغيات) وتكون ما يسمى بالإنسان المصغر (الإنسان الجيني) ! .

ويتكون الحمض النووي DNA من سلسلة من وحدات كيمائية تسمى بالنيكليوتيدات ، ويكون كل نيكليوتيد من ثلاثة مكونات رئيسية :

أ - جزيء سكر خماسي (رايبوز) .

ب - فوسفات .

ت - قاعدة نيتروجينية . (بيورينات وبيرimidينات) .

وهذه الكيماويات موجودة في الطبيعة ، ويمكن استخراج مكوناتها الأساسية من الطين .

فالتراب والماء يحتوي على العديد من المعادن والمكونات التي نجدها في الحمض النووي للإنسان .

٢ - رعاية الله تعالى التامة للإنسان من أول لحظات تكوئه حتى نهاية خلقه .

٣ - الدلالة على أن القرآن من عند الله ، مما ذكر فيه من دقائق خلق الإنسان لم يكتشفها البشر إلا بعد نزول القرآن بعده قرون .

٤ - قال ابن عاشور : «من إعجاز القرآن العلمي تسمية هذا الكائن باسم العَلْقَة، فإنه وَضُعُّ بديع لهذا الاسم؛ إذ قد ثبت في علم التشريح أنَّ هذا الجزء الذي استحالَت إليه النطفة هو كائن له قوة امتصاص القوة من دم الأم؛ بسبب التصاقه بعروق في الرحم تدفع إليه قوة الدم». (التحرير والتنوير : ٢٠ / ١٨).

٥ - نقل الدكتور محمد جميل الحبّال عن (Keith Moore) رئيس قسم علم الأجنة في جامعة تورنتو في كندا ، الذي ألف كتاباً يعتبر من أهم المراجع الطبية في هذا الاختصاص بعنوان (علم الأجنة السريري وتخليق الإنسان) إذ قال : «إنني أشهد بإعجاز الله في خلق الجنين الذي ذكره الله في القرآن الكريم في كل طور من أطواره ، والتي لم تكتشف إلا في الجزء الأخير في القرن العشرين ، وأؤكد أنَّ كل شيء قرأته في القرآن الكريم عن نشأة الجنين وتطوره في داخل الرحم ينطبق على كل ما أعرفه في علم الأَجْنَة» . تنقسم مراحل خلق الجنين إلى قسمين رئيسيين هما :

مرحلة (التلقيح) وتستغرق ٧ - ٨ أسابيع (المرحلة الجنينية).
 ومرحلة (النّشأة) وتستغرق عدة أشهر (المرحلة الحمبلية).
 وتنقسم مرحلة التلقيح كما جاء ذكرها في القرآن الكريم إلى المراحل التالية:

أ - مرحلة النطفة: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهي من التلقيح إلى الانغرس في بطانة الرحم وتستغرق نحو (٧) أيام (الأسبوع الأول) حيث بعد التقاء نطفة الرجل (الحيوان المنوي) مع نطفة المرأة (البويوسطة) تتكون البويوسطة المخصبة (الزايكتون) وأطلق عليها القرآن الكريم (النطفة الأمشاج) أي خليط من ماء الرجل وماء المرأة وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا إِلَّا سَبَّابَنَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ تَبَتَّلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]، وقوله ﷺ عندما سأله اليهودي: من أي شيء يخلق الإنسان؟ فأجابه: «من كل يخلق، من نطفة الرجل ونطفة المرأة» رواه الإمام أحمد في مسنده. وهذا بحد ذاته إعجاز علمي وسبق قرآني ونبيوي. حيث كان الاعتقاد حتى القرن الثامن عشر بأن الجنين موجود بصورة مصغرة وكاملة في البويوسطة أو في الحيوان المنوي للرجل !! وتم عملية التلقيح عادة في قناة الرحم (قناة فالوب) حيث تزحف الزايكتون متدرجقة وتقع في بطانة الرحم وتتغرس، ويكون الانغرس عادة في القسم العلوي الخلفي من بطانته تقع ﴿فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ﴾ وهو وصف دقيق جداً ومعجز لهذا المكان ذكره القرآن الكريم.

ب - مرحلة العلقة: في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا الْنُطْفَةَ عَلَقَةً﴾ بعد استقرار النطفة في جدار الرحم بفترة يدخل الجنين في مرحلة العلقة لتعلقه به وتغذيته من دمائه، ويشبه الجنين في هذه المرحلة شكلاً بدودة (العلق) وهي دودة تعيش في المياه الآسنة وتمتص الدم إذا شربتها الدابة حيث تتعلق بحلقها وتتغذى على الدم الممتص منها. وهذا تشبيه قرآني دقيق لهذه المرحلة التي يتراوح عمر الجنين فيها ما بين بداية الأسبوع الأول وحتى نهاية الأسبوع الثالث.

ج - مرحلة المضغة: في قوله تعالى: ﴿فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً﴾ حيث إن الجنين في هذه المرحلة يشبه المضغة؛ إذ بعد يومين أو ثلاثة أيام من المرحلة

السابقة (العلقة) تظهر فيه انتفاخات وتجاعيد غير منتظمة وتشكل بدايات الكتل البدنية وبراعم أعضائه الداخلية. ولا يمكن أن يوصف الشكل الخارجي إلا بالمضغة التي تعني اللقمة الممضوقة وعليها آثار الأسنان. ويبلغ طول الجنين في هذه المرحلة ما بين (٣ - ٥ سم) وذلك في الأسبوع الرابع من عمره وتنتهي هذه المرحلة قبيل نهاية الأسبوع السادس حيث تبدأ المرحلة التالية وهي مرحلة العظام .

د - مرحلة العظام: في قوله تعالى : ﴿فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَمًا﴾ أي : إنَّ العظام تخلق بعد هذه المرحلة فتحتفي الانتفاخات وتحول إلى أعضاء جسمية كالأطراف العليا والسفلى والعمود الفقري وغيرها حيث يتخلق هيكله العظمي الغضروفي بداية الأسبوع السابع .

ه - مرحلة الإكساء باللحم: في قوله تعالى : ﴿فَكَسَوْنَا الْعِظَمَ لَحْمًا﴾ حيث إن كلمة اللحم معناها العضلات التي تبدأ مباشرة بعد المرحلة السابقة في إكسائها للعظام وفي ذلك إعجاز قرآنی آخر في أن خلق العظام يكون قبل خلق العضلات كما قرره علم الأجنحة .

وبعد إكساء العظام باللحم تنتهي مرحلة التخليق وذلك في نهاية الأسبوع السابع من تلقيح البويضة وطوله (١١ سم) وقد اكتمل الجنينُ حلقه ، و تكونت وُخُلِقَت جميع أعضائه .

مرحلة النشأة: وهي مرحلة النمو (المراحل الحميـلـية) و تستغرق عدة أشهر ، وإن ما يحدث بعد اليوم الثاني والأربعين من عمر الجنين هو تصوير وتعديل ونمو مطرد وسريع وتنسيق لأجهزة الجسم بصورة أكمل فيتغير الخلق خلقاً بعد خلق بتنسيق خالق مصور قدير ، وهذا هو دور النشأة الذي يأتي بعد دور إكساء العظام باللحم (العضلات) التي يُعَدُّ الحد الفاصل بين المرحلة الجنينية والحمـيلـية ! يقول تعالى : ﴿ثُمَّ أَنْشَأَنَّهُ حَلْقًا إِذْ أَخْرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحَسْنُ الْخَلْقِينَ﴾ . و تستغرق هذه المرحلة عدة أشهر من نهاية الأسبوع الثامن حيث ينمو الجنين (الحمـيلـ) ببطء إلى الأسبوع الثاني عشر ثم ينمو بسرعة كبيرة حتى نهاية الحمل وحصول الولادة .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴾١٧﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً
يُقَدِّرُ فَاسِكَتَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابِهِ لَقَادِرُونَ ﴾١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ
وَأَعْنَبْ لَكُمْ فِيهَا فَوْكُهُ كَثِيرٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾١٩﴾ وَشَجَرَةٌ تَخْرُجُ مِنْ طُورٍ سَيِّنَاءَ تَبَتُّ بِالدُّهْنِ
وَصَبَغَ لِلْأَكْلِينَ ﴾٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ شُسْقِيمُ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنْفَعٌ كَثِيرٌ
وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴾٢١﴾

التفسير:

١٧ - والله لقد خلقنا فوقكم - أيها العباد - سبع سموات بعضها فوق بعض، ولكل سماء طريق وباب يؤدي إلى السماء التي فوقها، كما ورد في حديث الإسراء والمعراج المتفق عليه. وما كنّا غافلين عن حفظ الخلق.

١٨ - وأنزلنا من السحاب مطراً بقدر حاجة الخلائق، فأودعناه في سطح الأرض في الأنهر والجداول، وتحت الأرض كالعيون. وإنّا على ذهاب هذا الماء لقادرون، فتهلكون عطشاً أنتم ومواشيكم.

١٩ - فآخر جنّنا لكم بهذا الماء حدائق ذات أشجار من نخيل وأعناب، وأصنافٍ من الفواكه الكثيرة التي منها تأكلون، وتنتفعون.

٢٠ - وأخر جنّنا لكم بهذا الماء شجرة الزيتون التي تخرج حول جبل «طور سيناء»، يُعصر منها الزيت ليُدّهن به، وينتفع به إداماً للأكلين، فهي شجرة مباركة كما صَحَّ عن النبي ﷺ «كُلُوا الزيت، وادَّهُوا به، فإنه من شجرة مباركة». (أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي (المستدرك ٢/ ٣٩٧). وأخرجه الضياء (المختارة ١/ ١٧٢ برقم ٨٣٩٨) وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة برقم ٣٧٩).

٢١ - وإنّ لكم - أيها العباد - في الأنعام من الإبل والبقر والغنم والمعز لموعظة تعبرون بها؛ لمعرفة القدرة الإلهية والرحمة الربانية، نسقيكم مما في بطونها لبناً طيباً، لكم فيها منافع في أصواتها وأوبارها وأشعارها من الآثار والفرش، ومنافع من لحومها للأكل الطيب الحلال.

الفوائد والاستنباطات:

١ - ينظر: مخطط رحلة الإسراء والمعراج في الملحق.

٢ - بيان آية كونية عظيمة، يُستنبط منها معرفة المداخل والمخارج في السموات السبع.

٣ - الإشارة إلى نعمة المياه الجوفية المخزونة.

٤ - الإشارة إلى فوائد الأنعام التي جُمع فيها الشراب والطعام والأثاث.

٥ - في الآية (١٧) إخبار مستقبلي عن إحاطة الله تعالى بخلقه، وما يعملون في الدنيا.

٦ - عظيم نعم الله على الإنسان، فمن ماء ينزل من السماء إلى نبات ينمو في الأرض.

٧ - الإشارة إلى نعم زيت الزيتون. قال الدكتور محمد جميل الحبّال: «عقد في روما مؤتمر عالمي لأول مرة في تاريخ الطب تحت شعار (زيت الزيتون وغذاء البحر المتوسط) بتاريخ ٢١ - ٤ - ١٩٩٧م ضم أشهر الأطباء الذين استعرضوا أحدث الأبحاث العلمية في فوائد زيت الزيتون خاصة في بلدان حوض البحر المتوسط، وأكدوا في توصياتهم ما يلي:

أ - إن زيت الزيتون يسهم في الوقاية من أمراض الشرايين القلبية والدماغية وارتفاع ضغط الدم وداء السكر والبدانة وكذلك من الإصابة ببعض السرطانات وذلك من خلال غناه بالأحماض الدهنية غير المشبعة والوحيدة (Monounsaturated Fatty Acids) ومضادات الأكسدة (Antioxidants). وهذه المركبات تعمل على التقليل من الدهونات غير الحميدة كالكوليستيرول الضار (LDL) وزيادة الدهون الحميدة كالكوليستيرول النافع (HDL) وبالتالي تمنع حدوث تصلب الشرايين (Atherosclerosis).

ب - يوفر وقاية جيدة من تصلب الشرايين للأسباب المذكورة أعلاه.

ج - إن زيت الزيتون مادة مغذية ذات تأثير ملين (مضاد للإمساك) ويمكن استعماله كذلك كحقنة شرجية لمعالجة الإمساك الناتج عن الكتل البرازية أو انفتال الأمعاء. وكذلك يقي من الإصابة بتقرحات المعدة والثني عشر عن طريق حمايته للغشاء المخاطي لهما، ويقضي على الجرثومة المسببة لهذه التقرحات (هايلوباكتر بايلوري) (H.pylori) والتي لها علاقة أيضاً بالإصابة بسرطان المعدة.

د - يزيد من نشاط وظائف الكبد ويساعد على قدرته في إزالة السممية (Detoxification) ويعمل على تفتيح خلاياه، لذلك ينفع في علاج الكبد الدهني (Fatty Liver). ويعتبر زيت الزيتون مفرغاً ومنشطاً لصفراء الكبد الذي يخزن في كيس المراة، وينفع المصابين بالرمال الصفراوية المارمية، ويمنع تكوينها، وكذلك يفيد في إفراط الرمال البولية ويمنع تكوينها أيضاً بالطريقة نفسها.

ه - يحافظ على الخلية العادمة ويمنعها من التحول إلى سرطانية، فقد أكدت العديد من الدراسات أنه يقي من سرطان الجلد والقولون والمعدة والرحم والمبيض وكذلك سرطان الثدي حيث وجد أن النساء اللواتي يتناولنه يومياً تقل عندهن الإصابة بسرطان الثدي بنسبة ٤٥٪ مقارنة باللواتي لا يتناولنه بانتظام!

و - يُعد علاجاً مناسباً للتهاب المفاصل الروماتزمي والعظمي والالتواءات والتورمات الجلدية والتشنجات العضلية عن طريق استعماله كدهان موضعى كما يستخدم من قبل الرياضيين لتلبيس العضلات والمفاصل.

ز - يحافظ على ليونة الجلد ويمنع سقوط الشعر، وهو علاج فعال لقشرة الرأس، ويقتل القمل فيه إذا وضع على فروة الرأس عدة ساعات وله تأثير عجيب في البشرة وصحة الجلد بشكل عام».

٨ - قال ابن عاشور: «التعبير بالمضارع في قوله: ﴿تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سِينَاء﴾ لاستحضار الصورة العجيبة المهمة التي كُوِّنَتْ بها تلك الشجرة في أول تكوينها، حتى كان السامع يبصرها خارجة بالنبات في طور سيناء». (التحرير والتنوير: ٣١ / ١٨).

٩ - في الآية (٢١) إخبار مستقبلٍ في الاعتبار بالأفعال، وما فيها من الرزق والمنافع.

١٠ - ينظر: صورة جبل الطور، كما في الملحق.

﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلُكِ تُحْمَلُونَ ﴾٢٢ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَقُولُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ أَفَلَا تَنْقُونَ ﴾٢٣ ﴿ فَقَالَ الْمَلَوُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مُّتَكَبِّرٌ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَضِّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَا نَزَّلَ مَلَائِكَةً مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي أَبَابِنَا الْأَوَّلِينَ ﴾٢٤ ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ يَهُدِي إِلَيْهِ حِنْنَةٌ فَتَرْبَصُوا بِهِ حَتَّى حِينٍ ﴾٢٥ ﴿ قَالَ رَبِّ آنْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴾٢٦ ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ أَصْنَعَ الْفُلُكَ يَأْعِينُنَا وَوَحْيَنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنْورُ فَاسْلَكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَاهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَطِّبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا لِنَعْمَلُ مُغَرَّبُونَ ﴾٢٧ ﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أَنَّتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلُكِ فَقُلْ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾٢٨ ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَنْزَلَنِي مُنْزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنَّتِ خَيْرُ الْمُنْزَلِينَ ﴾٢٩ ﴿ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذَّاتٍ وَإِنْ كُنَّا لِمُبْتَلِينَ ﴾٣٠ ﴾

التفسير:

٢٢ - وعلى الإبل تركبون في البرّ، وعلى السفن تركبون أنتم ومتاعكم في البحر.

٢٣ - قسماً لقد بعثنا نوحًا ﷺ إلى قومه يدعوهم إلى عبادة الله تعالى، فناداهم متقرّباً إليهم بالنسب: يا قوم اعبدوا الله وحده دون سواه، لا معبد لكم غيره سبحانه، أفلًا تخافون عذابه؟

٢٤ - فقال الجهمة من أشراف قومه تكبّراً: ليس نوح إلا بشراً مماثلاً لكم، ي يريد أن تكون له السيادة والنبوة. ولو شاء الله إرسال رسول لهداية البشر لأرسل ملائكة، ما سمعنا بهذا الذي دعا إليه نوح من التوحيد في الأمم الماضية.

٢٥ - وما نوح إلا رجل مجنون، فانتظروا حتى يُفيق من جنونه أو يموت.

٢٦ - فتضطرّ نوح ﷺ إلى ربّه يطلب العون والنصر على قومه المكذّبين له.

٢٧ - فاستجاب الله تعالى لنبيه نوح ﷺ وأمره: أن اصنع السفينة بحفظنا ومرأى منا، وتعليمنا لك. حتى إذا جاء أمرنا بإهلاكهم، وفارت عيون الماء من وجه الأرض ومن التنور الذي يُخرب فيه - وهو إشارة لنزول العذاب - قلنا: احمل

في السفينة من كل أنواع الحيوانات ذكرًا وأنثى، واحمل فيها أهل بيتك، إلا من حكم الله بإهلاكه، ولا تشفع في الذين كفروا؛ إنَّهُم هالكون بالغرق.

٢٩ - ٢٨ - فإذا ركبت واستقررت أنت ومنْ معك على السفينة، فقل: الحمد لله الذي أنقذنا من القوم الكافرين، وقل: يا ربِّ أنزَلْنِي منزلاً من الأرض مباركاً، وأنت خير مَنْ أنزل عباده المنازل المباركة، وقد استجاب الله تعالى له كما في قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ إِسْلَمِ مِنَا وَرَكِّتِ عَلَيْكَ وَعَلَّ أَمْرِ مَمَّنْ مَعَكَ وَأَمْمٌ سَمِّعُوكُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مَمَّا عَذَابُ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

٣٠ - إنَّ في ذلك الأمر العظيم في شأن نوح الكريم وقومه الثناء، لعبراً ومواعظ للعباد، وإننا كُنَّا حقاً مختبرين عبادنا بالأيات التي جاء بها المرسلون.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «لما كان السمع المنفي ليس ساماً باذانهم ل الكلام في زمن آبائهم، بل المراد ما بلغ إلينا وقوع مثل هذا في زمن آبائنا، عُدّي فعل ﴿سَمِعْنَا﴾ في الآية (٢٤) بالباء؛ لتضمينه معنى الاتصال». (التحرير والتنور: ٣٦ / ١٨).

٢ - دعوة أول الرسل نوح ﷺ - كدعوة آخرهم محمد ﷺ - دعوة إلى توحيد الله.

٣ - زعم قوم نوح أنَّ نوحًا ﷺ لا يصلح للرسالة لأنَّه بشر، كما ادعى ذلك العرب في سيدنا محمد ﷺ.

٤ - على الدُّعاة إلى الله أتباع الأنبياء أن يتَّحَبُّوا إلى قومهم حال دعوتهم إلى الله، كما فعل نوح ﷺ.

٥ - يلْجأ المكذبون للرسل ﷺ إلى اتهامهم بتهم متعددة، تَهَرُّباً من مواجهتهم، ومحاولة لصرف الناس عن اتباعهم.

﴿فَوْ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنَاءَ أَخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ أَفَلَا يَنْقُونَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَائِكَةُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءَ الْآخِرَةِ فَأَتَرْفَنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَا كُلُّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشَرِبُ مِمَّا تَشَرِبُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعْدُكُمْ إِنَّكُمْ إِذَا مُتُمْ وَكُشْتُمْ تَرَابًا وَعَظَمًا إِنَّكُمْ مُخْرَجُونَ هَيَّاهَاتٌ هَيَّاهَاتٌ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّهُ إِلَّا حِيَاةً دُنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثَيْنَ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ أَفْقَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبَا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَ رَبِّ انْصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونَ ﴿٣٧﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لِيُصْحِّنَ نَادِمِينَ ﴿٣٨﴾ فَلَأَخْذَتُهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَّاءً بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا أَخَرِينَ ﴿٤٠﴾

التفسير:

٣٢ - ٣١ - ثمَّ أَوجَدْنَا عَادًا قوم هود من بعد إهلاك قوم نوح ، فأرسلنا فيهم رسولاً من جنسهم ، وهو هود عليه السلام ، أن عبدوا الله وحده دون سواه ، لا معبد لكم غيره سبحانه ، أفلأ تخافون عذابه؟!

٣٣ - ٣٤ - وقال الجهلة من أشراف قومه الكفار المكذّبين بالبعث المترفين : ليس هود إلا بشراً مماثلاً لكم يأكل الطعام كما تأكلون ، ويشرب كما تشربون . وقسمـاً إن اتبعتـم بشراً مثلكـم إنـكم إذـا لخـاسرون بـتركـكم آلهـتكـم .

٣٥ - ٣٨ - ثمَّ أنكروا البعث بعدة أساليب في الآيات الأربع التالية: أـيـعدـكم هـودـ إـنـكـمـ تـبـعـثـونـ مـنـ قـبـورـكـمـ بـعـدـ أـنـ تـمـوتـواـ وـتـصـيرـواـ تـرـابـاـ وـعـظـامـاـ مـفـتـتـةـ؟ـ بـعـدـأـ بـعـدـأـ لـمـ توـعـدـونـ مـنـ الـبـعـثـ مـنـ الـقـبـورـ.ـ لـاـ حـيـاةـ نـقـرـ بـهـ إـلـاـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ الـتـيـ نـعـيـشـهـاـ،ـ يـمـوتـ بـعـضـنـاـ،ـ وـيـوـلـدـ بـعـضـنـاـ،ـ وـلـسـنـاـ نـحـنـ بـمـبـعـوثـيـنـ بـعـدـ الـمـوـتـ،ـ مـاـ هـوـ إـلـاـ رـجـلـ اـخـتـلـقـ عـلـىـ اللـهـ كـذـبـاـ،ـ وـلـنـ نـصـدـقـهـ أـبـداـ.

٤٢ - ٣٩ - فـتـضـرـعـ هـودـ إـلـىـ رـبـهـ يـطـلـبـ الـعـونـ وـالـنـصـرـ عـلـىـ قـوـمـهـ ،ـ فـاسـتـجـابـ اللـهـ تـعـالـىـ لـهـ مـؤـكـداـ وـمـبـشـراـ:ـ قـسـمـاـ سـيـصـيرـونـ نـادـمـيـنـ عـلـىـ كـفـرـهـمـ بـعـدـ زـمـنـ قـلـيلـ ،ـ فـفـاجـأـتـهـمـ صـيـحـةـ العـذـابـ الشـدـيدـةـ الـتـيـ زـلـلـتـهـمـ ،ـ فـدـمـرـنـاـهـمـ ،ـ وـجـعـلـنـاـهـمـ كـغـثـاءـ السـيـلـ الـذـيـ يـطـفـوـ عـلـىـ الـمـاءـ ،ـ فـبـعـدـأـ مـنـ الـرـحـمـةـ ،ـ وـدـمـارـاـ

للقوم المعذين على المرسلين، ثمَّ أنسأنا من بعد هؤلاء أممًا آخرين، قوم لوط وشعيب وغيرهم.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «عُدِّي فُعْلُ» **(فَارَسَلَنَا)** بـ(في) دون (إلى)؛ لإفاده أنَّ الرسول كان منهم، ونشأ فيهم؛ لأنَّ القرن لما لم يُعَيَّن باسم حتى يعرف أنَّ رسولهم منهم أو وارداً إليهم، مثل لوط لأهل (سدوم)، ويونس لأهل (نيروى)، وموسى للقبط. وكان التنبية على أنَّ رسولهم منهم مقصوداً؛ إتماماً للممااثلة بين حالهم وحال الذين أرسل إليهم **محمد ﷺ**. (التحرير والتنوير: ٤١/١٨).

٢ - دعوة الأنبياء واحدة، وهي توحيد الله تعالى وإفراده بالعبادة.

٣ - موقف الملا من دعوات الأنبياء متشابه في القبح والتكميل.

٤ - التَّرُفُ والانغماس في شهوات الدنيا مفسدان للفطرة، ومُبَعَّدان عن الحقِّ.

٥ - استجابة الله تعالى دعاء المظلومين من عباده، ولا سيما إن كانوا صالحين.

﴿مَا تَسِقُّ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَاهَا وَمَا يَسْتَخِرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلَنَا رُسُلًا تَرَكُّلَّ مَا جَاءَ أُمَّةَ رَسُولُهَا كَذَبُوهُ فَاتَّبَعُنَا بَعْضُهُمْ بَعْضًا وَجَعَلُنَّهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدَ لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلَنَا مُوسَى وَآخَاهُ هَرُونَ إِبَائِتَنَا وَسُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿٤٥﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلِئِيهِ فَاسْتَكَبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِيَّنَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَنَّهُمْ لِشَرِّينِ مِثْنَانِكَ وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَيْدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهَلَّكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ أَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَحَعَلَنَا أَبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّةَ إِيمَانَةَ وَأَوْسَانَهُمَا إِلَى رَبِّهِ ذَاتِ قَرْبَرِ وَمَعِينِ ﴿٥٠﴾﴾

التفسير:

٤٣ - لكل أمَّةٍ ظالمة زُمنُها الذي قرَرَه الله تعالى لدمارها، لا تَقْدَمُ عنه، ولا تتأخر.

٤٤ - ثمَّ أرسلنا رسالنا إلى أممهم متبعين، كلَّما دعا رسول قومه كذبواه،

فأهلناهم متتابعين، وجعلناهم أخباراً تُروى، ويُتعظ بها، فبعداً عن رحمة الله، ودماراً لقوم لا يُصدقون بدعوة رسليهم.

٤٦ - ٤٥ ثم أرسلنا موسى وهارون بآياتنا التسع، وحجّة واضحة إلى فرعون وأعوانه المترفين، فاستكروا عن التصديق بموسى وهارون، وكانوا قوماً جارين يبطشون بالعباد.

٤٧ - ٤٨ فأنكر فرعون وأزلامه: أَنْصَدُ بِرْجَلَيْنِ مِثْلَنَا، وَقَوْمَهُمَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَنَا مطِيعُونَ طَاعَةَ الْعَبِيدِ؟! فكذبوا موسى وهارون، فكانوا بسبب ذلك من المُهْلَكِينَ بالغرق في البحر.

٤٩ قسماً لقد أعطينا موسى التوراة هدايةً إلى بنى إسرائيل.

٥٠ وجعلنا قصة عيسى ابن مريم وأمه معجزة عظيمة، وأسكنناهم بما كان مرتفع من أرض بيت المقدس، فيها أسباب الاستقرار من جريان المياه، وألوان الثمار.

الفوائد والاستنباطات:

١ - كثرة الرسل على مدار التاريخ، فما من أمة إلا خلا فيها نذير.

٢ - تشابه حال الرسل مع أقوامهم، فكل يبلغ دعوة الله، فيكون التكذيب والعقاب.

٣ - لهلاك كل أمة أجل محدد، لا يتقدّم ولا يتأخّر، ولا يعلم وقته إلا الله تعالى.

٤ - الكُبُرُ والغرور من صفات الإنسان المذمومة التي تؤدي به إلى الكفر.

﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيْبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلَيْمٌ ﴾ ٥١ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَجَدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاقْتُلُونِ ٥٢ فَنَقْطَعُوا أَمْرَهُ بِيَنْهُمْ زِبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدِيهِمْ فَرِحُونَ ٥٣ فَذَرُوهُ فِي عَمَرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ٥٤ أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُعِذُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَيْنَ ٥٥ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ٥٦ إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٥٧ وَالَّذِينَ هُمْ بِثَابِتٍ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ٥٨ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْكُونَ ٥٩ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتُوا وَقَاتُلُوهُمْ وَرَحِلَّةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَجِعُونَ ٦٠ أُولَئِكَ يُسَرِّعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَا سَيِّقُونَ ٦١ وَلَا نُكَفِّرُ فَسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدِيَنَا كَتَبْ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُوَ لَا يُظْلَمُونَ ٦٢ ﴾

التفسير:

٥١ - ٥٢. وقلنا: يا أيها الرسل، كُلوا من أنواع الطعام الحلال الطيب، واشكروا الله بالأعمال الصالحة، إنني بكل ما تعملون من خير عليم، وإن هذه ملة الإسلام ملتكم واحدة يا عشر الأنبياء، وأنا ربكم، فاتكوني بطاعة أمري.

٥٣ - ٥٤. فتفرقت الأمم في أمر دينهم فرقاً عديدة، فاترك - أيها الرسول - هؤلاء المشركين في ضلالهم حتى يأتي زمن العذاب أو الموت.

٥٥ - ٥٦. أيعتقد هؤلاء المشركون أنَّ ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والأبناء هو زيادة في الخير؟ بل هو استدراج لهم؛ لتتراكم ذنوبهم، فيتضاعف عذابهم، ولكنهم لا يحسون بذلك.

٥٧ - ٥٨. يُثني الله تعالى على المؤمنين الذين يسارعون في فعل الخير، ويبيّن أوصافهم: إنَّ الذين هم من خشية ربِّهم جادُون في طلبِ مرضاته، والذين هم بآيات ربِّهم المنزلة في القرآن والآيات الكونية المشاهدة يُصادقون.

٥٩ - ٦٢. والذين هم يخلصون العبادة لله وحده، لا يشركون به غيره، والذين يعطون زكاة أموالهم، ويقيمون الصلاة وهم يخافون إلَّا تقبل منهم، إذا بُعثروا يوم القيمة إلى الله للحساب. أولئك أصحاب الدرجات العالية، يبادرون في الأعمال الصالحة، وهم يسبِّقُونَ غيرهم إلى تلك الأعمال التي

في مقدورهم، لأنّنا لا نُكَلِّفُ نفساً إلا بمقدار طاقتها، وعندنا صحائف أعمال العباد يُظْهِرُ فيها الحق المطابق لما قَدَّموه من خيرٍ أو شرّ، وهم لا يُظْلِمُونَ بِنَفْصِ ثوابٍ، أو بعِقاب دون أسباب.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ: يا رسول الله! وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهُمْ وَلِجَلَّهُ أَهُوَ الَّذِي يَزِنُنِي وَيُسْرِقُنِي وَيُشَرِّبُنِي الْخَمْرَ؟ قال: «لا، يا بنت أبي بكر (أو: يا بنت الصديق) ولكن الرجل يصوم ويتصدق ويصلّي، وهو يخاف ألا يتقبل منه». (آخرجه ابن ماجه في السنن ١٤٠٤ / ٢ - كتاب الزهد - باب التوقي على العمل برقم ٤١٩٨ ، والترمذى (الجامع الصحيح - التفسير - سورة المؤمنون برقم ٣١٧٥). وأخرجه أحمد (المسنن ١٥٩ / ٦). والحاكم (المستدرك ٣٩٣ / ٢ - ٣٩٤). وصححه ووافقه الذهبي. وحسنه الألباني (صحيح ابن ماجه ٤٠٩ / ٢).

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الرُّسُلُ جمِيعاً وأتباعهم على طريقتهم يُولِّفُونَ أُمَّةً واحدةً يعبدون الله وحده.**
- ٢ - وجوب تحرّي الحلال في المطعم والمشرب وسائر الأمور.**
- ٣ - سَعَةُ الرِّزْقِ، وكثرة المال، ليست دليلاً على محبّة الله ورضاه، بل ربما هي استدراج وابتلاء.**
- ٤ - لا يُكَلِّفُ الله العباد فوق ما يطيقون.**
- ٥ - شُمول عِلْمِ الله تعالى لكلّ صغير وكبير في هذا الكون، ومنها أعمال العباد، فهي مُدَّونةً ومحفوظة.**
- ٦ - في الآيتين (٥٥ - ٥٦) إخبار مستقبليٌ عن خطأ ما يعتقده الكفار من أنَّ ما يَمْدُهُمْ الله به من أموال وأولاد في الدنيا هو تعجيل خير لهم يستحقونه، وأنَّ الصحيح في سبب تعجيل الخير لهم إنما هو فتنه لهم.**

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمَرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلُ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ أَهْكَا عَمِلُونَ ﴾٦٣﴾ حَقَّ إِذَا أَخْذَنَا مُتَّفِقُهُمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْئُونَ ﴿٦٤﴾ لَا يَجْعَلُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِّنَ الْأَنْصَارُ فَذَكَرَ كَانَتْ إِيمَانِي تُتَلِّي عَيْنَكُمْ فَكَنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَبِكُمْ نَذِكُرُونَ ﴿٦٥﴾ مُسْتَكْبِرِينَ يَهُ سَمِّرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٦﴾ أَفَلَمْ يَدْبِرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ إِبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٧﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ ﴿٦٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ يَهُ حِنْنَةً بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٦٩﴾

﴿٧٠﴾

التفسير:

٦٣ - ٦٥ - يُهَدِّدُ اللَّهُ الْكُفَّارَ بِسَبِبِ سُوءِ أَعْمَالِهِمْ: إِنْ قُلُوبَ الْكُفَّارِ فِي غَفْلَةٍ وَعَمَىٰ عَنِ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَلَهُمْ أَعْمَالٌ سَيِّئَةٌ - إِضَافَةً إِلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنِ الْكُفَّرِ - هُمْ عَامِلُونَ بِهَا، سَيُعَذَّبُونَ عَلَيْهَا. حَتَّىٰ إِذَا أَخْذَنَا الْمُتَّفِقِينَ مِنْهُمْ بِعِذَابِ الْآخِرَةِ إِذَا هُمْ يَصِيحُونَ لِلْاِسْتِغَاثَةِ مِنْ أَهْوَالِ النَّارِ، فَيُقَالُ لَهُمْ: لَا تَسْتَغِيْشُوا؛ لَا تَكُونُ مِنْ عَذَابِنَا لَا تُنْقَذُونَ، وَلَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَىٰ أَنْ يُحَلِّصَكُمْ مِنْهُ. وَضُمِّنَ ﴿تُنْصَرُوكُ﴾ مِنْتَهِيَ الْفَعْلِ بِـ(مِنْ)، أَيْ: لَا تَنْجُونَ مِنْ عَذَابِنَا.

٦٧ - ٦٦ - لَا عذرٌ لَكُمْ؛ قَدْ كَانَتْ آيَاتُ الْقُرْآنِ تُقْرَأُ عَلَيْكُمْ لِتَؤْمِنُوا بِهَا، فَكَنْتُمْ تَرْتَدُونَ عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ مِنْ سَمَاعِهَا، مُسْتَكْبِرِينَ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّكُمْ أَهْلَ بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ وَخُدَّامَهُ، وَتَسَامِرُونَ بَيْنَكُمْ لِيَلًاً بِسَاقْطِ الْقَوْلِ فِي الطَّعْنِ بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ.

٦٨ - ٦٧ - يُنْكِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَفْعَالَ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ مُوَبِّخًا لَهُمْ بَعْدَ أَسَالِيبٍ: أَفَلَمْ يَتَدَبَّرُوا هَذَا الْقُرْآنَ؛ لِيَعْرِفُوا مَا فِيهِ فِي صِدْقَوْا بِهِ؟ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَا عَهْدَ بِهِ لَآبَائِهِمُ الْأَقْدَمِينَ، مِنَ الرَّسُولِ وَالْقُرْآنِ؟ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا صَفَاتَ رَسُولِهِمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ؟ أَمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا مَجْنُونٌ؟ وَالْحَقِيقَةُ لِيُسَ الْأَمْرُ كَمَا زَعَمُوا، بَلْ جَاءُهُمْ مُحَمَّدٌ بِالْحَقِّ الَّذِي أَوْحَاهُ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ، وَأَكْثَرُهُمْ لِهَذَا الْحَقِّ كَارِهُونَ؛ لَا تَنْجُونَ مِنْهُ شَهْوَاتِهِمْ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - شمول علم الله تعالى لكلّ صغير وكبير في هذا الكون، ومنها أعمال العباد فهي مدونة ومحفوظة.
- ٢ - كراهة التنعم الزائد، والترفة في أمور الدنيا.
- ٣ - كراهة قضاء وقت الليل بحديث اللهو والتسلية والفحش من القول، بدل الانتفاع من الوقت وقضاءه في طاعة الله.

﴿وَلَوْ أَتَبَعُ الْحَقَّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَئِنَّهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُّعْرِضُونَ ﴾٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجٌ رِّبَكْ حَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الْرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾٧٣﴾ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الْصِّرَاطِ لَنَذَكِرُونَ ﴾٧٤﴾ وَلَوْ رَحِمَهُمْ وَكَشَفَنَا مَا بِهِمْ مِّنْ ضُرٍّ لَّلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَذَابِ فَمَا أُسْتَكَانُ لِرِبِّهِمْ وَمَا يَنْصَرُونَ ﴾٧٦﴾ حَتَّى إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِي هُمْ بُلْسُونَ ﴾٧٧﴾

التفسير:

- ٧١ - ولو جرت سُنة الله تعالى على مسايرة ما يقتربه الكفار، لفسدت السموات السبع والأرض ومن فيهن، ولكن أعطيناهم القرآن العظيم الذي فيه مجدهم وعزّهم، فهم عنه معرضون مهملون له.
- ٧٢ - ٧٤ - ألم تسألهما أجراً على أداء رسالتك، فبخلوا فلم يؤمنوا؟ فعطاء الله الكريم خير لك أيها الرسول. وهو سبحانه أفضل من أعطي، وأكرم من رزق، وإنك - أيها الرسول - لتدعوا قومك إلى دين الإسلام، وإن الذين لا يصدقون بيوم القيمة عن الطريق المستقيم لمنحرفون.
- ٧٥ - ولو رحممنا هؤلاء المشركين، ورفعنا عنهم ما أصابهم من المصائب، لتمادوا تمادياً عظيماً في ضلالهم وهم يتخطّطون فيه.

٧٦ - سبب النزول:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم ،

فقال : يا محمد أُنْشِدُكَ اللهُ وَالرَّحْمَنُ ، فَقَدْ أَكْلَنَا الْعِلْمَهُزَ - يعني الوَبَرَ والدم - فَأَنْزَلَ اللَّهُ : ﴿وَلَقَدْ أَخْذَنَاهُمْ بِالْعَدَابِ فَمَا أَسْتَكَنُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَضْرُبُونَ﴾ . (أخرجه ابن حبان في الإحسان ٢٤٧ / ٣ برقم ٩٦٧، وأخرجه الحاكم في (المستدرك ٣٩٤ / ٢ - كتاب التفسير). وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر (الفتح ٦ / ٥١٠).

التفسير:

وَقَسْمًا لَقَدْ عَذَّبْنَاهُمْ بِالجُوعِ وَالْقَتْلِ يَوْمَ بَدْرٍ ، فَمَا خَضَعُوا لِللهِ رَبِّهِمْ وَمَا دَعَوْهُ سَبَحَانَهُ ، حَتَّى إِذَا جَاءَتْهُمْ أَهْوَالُ عِذَابِ الْآخِرَةِ إِذَا هُمْ مُتَحَيِّرُونَ ، يَائِسُونَ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - خُطُرُ اتّباعُ الْهُوَى ، وَأَنَّهُ يُفْضِي إِلَى الْهُلاَكِ وَالْخُسْرَانِ .
- ٢ - عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَتَرَفَّعَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ ، وَيَزْهَدَ فِيهِ .
- ٣ - الْعِنَادُ وَالْمُكَابَرَةُ ، وَرَفْضُ الْحَقِّ ، وَالْإِصْرَارُ عَلَى الْبَاطِلِ ، مِنْ صَفَاتِ الْكَافِرِينَ .
- ٤ - فِي الْآيَتَيْنِ (٧٤ - ٧٥) إِخْبَارُ مُسْتَقْبَلٍ عَنْ حَالِ مَنْ لَا يُصَدِّقُ بِالْبَعْثَةِ وَالْحِسَابِ بِأَنَّهُ سَيَنْحَرِفُ عَنِ الْحَقِّ . وَفِيهِمَا إِخْبَارُ مُسْتَقْبَلٍ آخَرَ عَنْ تَمَادِي الْكُفَّارِ فِي الْجَحْودِ ، إِذَا كَشَفَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمُ الْاِبْتِلَاءَ .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَشَأَ لَكُمُ السَّمَعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَغْنَادَةَ قَلِيلًا مَا شَكَرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَكَمُ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحَشَّرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمْتَثِّلُ وَلَهُ أَخْتِلَفُ الْأَئِلَّ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوْلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَءَذَا مِتَنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعَظِيمًا أَنَا لَمْ بَعُثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَإِبْرَاهِيمَ هَذَا مِنْ قَبْلِ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾﴾

التفسير:

٨٠ - ٧٨ - والله سبحانه هو الذي خلق لكم السمع لتسمعوا ، والأبصار لتشاهدوا الآيات الكونية ، والعقول لتفقهوا بها ، ولكن شكركم لله قليل تجاه هذه النعم العظيمة ، وهو الذي خلقكم ، وبثكم في الأرض بطريق النسل ، ثم

إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ تُجْمَعُونَ بَعْدَ مَوْتِكُمْ لِلحسابِ، وَهُوَ وَحْدَهُ الْمُتَصْرِّفُ فِي الْحَيَاةِ وَالْمَوْتِ، وَلَهُ سُبْحَانَهُ تَعَاقُّبُ اللَّيلِ وَالنَّهَارِ، أَفَلَا تَعْقِلُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ؟

٨٣ - ٨١ - إِنَّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ اتِّبَاعَ الْحَقِّ، بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ مُنْكِرُو الْبَعْثِ السَّابِقُونَ لَهُمْ، إِذْ قَالُوا: إِنَّا مَتَّنَا وَصَرَّنَا تَرَابًاً وَعَظَامًاً بِالْيَهْ نَحْيَا تَارِيَةً أُخْرَى؟! قَسْمًاً مَا زِلْنَا نُوعَدُ نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلٍ بِأَنَّ الْبَعْثَ كَائِنٌ، مَا هَذَا إِلَّا أَكَاذِيبُ الْأَقْدَمِينَ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - وجوب شكر الله تعالى على نعمه، ومنها: السَّمْعُ، والبَصَرُ، والفَؤَادُ.

٢ - كثرة الأدلة على عظمته وقدرته، ومنها: الإِحْيَاءُ وَالإِمَاتَةُ، وَالْخَلْفُ الْلَّيلُ وَالنَّهَارُ.

٣ - ذُمُّ الْمَسَارِعَةِ إِلَى إِلْقَاءِ التُّهْمَةِ عَلَى الْآخْرِينَ فِيمَا لَا يَسْتَوِعُهُ الْإِنْسَانُ.

﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾٨٤﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾٨٥﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾٨٦﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَنْقُوتُ ﴾٨٧﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَلَا يُحْكَمُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾٨٨﴿سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَإِنَّمَا تُسْحَرُونَ ﴾٨٩﴿بَلْ أَئِنَّهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾٩٠﴿مَا أَتَحَدَّهُ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾٩١﴾ عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهِيدَةَ فَتَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ ﴾٩٢﴾

التفسير:

٨٤ - ٨٥ - قل لهم أيها الرسول: لِمَنْ مُلْكُ هَذِهِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا؟ إِنْ كَانَ لَدِيكُمْ عِلْمٌ فَأَخْبِرُونِي، سِيُجِبُونَ مُعْتَرِفِينَ: أَنَّهَا لَهُ. قل لهم: أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ؟

٨٦ - ٨٩ - قل لهم: مَنْ خَالَقَ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ

أعظم المخلوقات؟ سيقولون مُقرّين : إِنَّهُ اللَّهُ . قل لهم : أَفَلَا تخافون عذابه إذا عبّدتم غيره؟ مَنْ بِيدهِ مُلْكُ كُلِّ شَيْءٍ؟ وهو سبحانه يحمي مَنْ استجار به ، ولا يقدر أحد أن يحمي مَنْ أراد الله عذابه ، إنْ كنتم تعلمون فأخبروني عن ذلك ، سيقولون معتبرفين : إِنَّ اللَّهَ الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ ، المجير سبحانه مَنْ استجار به . قل لهم : فَأَيْنَ ذَهَبَتْ عُقُولُكُمْ ، إِذْ عَبَدْتُمْ مَنْ عَلِمْتُمْ عَجْزَهُمْ ، وَإِنَّهُمْ لَا مَلِكٌ لَهُمْ؟

٩٢ - ٩٠ ليس الأمر كما يزعمون من إنكار البعث ، والقول على الله بغير علم ، بل أتيناهم بالحق المتضمن للصدق في الأخبار . وإنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ في إنكارهم البعث وفي شركهم ، ما اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا مُطْلَقًا لا من الملائكة ولا من البشر ، وليس معه مَنْ يشاركه في العبودية ، ولو كان معه آلهة لأنفرد كل إله بما خلق ، وغلب القويُّ الضعيف . تَنَزَّهَ اللَّهُ وَتَقَدَّسَ عَمَّا يكذبون ، هو وحده عالم بكل ما غاب عن خلقه وما يشاهدونه ، فتعاظم الله وتَنَزَّهُ عن الشريك والولد .

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآيات طريقة في الترقي والتدرج ، فابتدائ بالسؤال عن مالك الأرض ومن فيها ؛ لأنَّها أقرب العوالم لإدراك المخاطبين ، ثم ارتقى إلى الاستدلال بربوبية السموات والعرش ، ثم ارتقى إلى ما هو أعم وأشمل ، وهو تَصَرُّفُه المطلق في الأشياء كلها .

٢ - توحيد الرُّبُوبِيَّة يلزم بتوحيد الألوهية ، فالخالق الرَّزاق هو المستحق للعبادة .

٣ - استخدام أسلوب السؤال للخصم ؛ لإلزامه الحُجَّة من خلال إجابته .

٤ - جواز توبیخ المتعاگل والمتتجاهل عن الحقّ بما يردعه ويزجره .

٥ - استقرار نظام الكون دليل على أنَّ له إِلَهًا واحدًا ، فلو كان فيه أكثر من إله لفسد الكون .

﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِينِي مَا يُوَعَّدُونَ ﴾٩٦﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ
أَن نُزِّيلَكَ مَا تَعِدُهُمْ لَقَدْ رُؤْنَ ﴿٩٥﴾ أَدْفَعْ بِالْتَّيْهِ هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ تَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ
وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونَ ﴿٩٨﴾ حَقَّ إِذَا جَاءَ
أَحَدُهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ أَرْجُونَ ﴿٩٩﴾ لَعَلَّيْ أَعْمَلُ صَلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِمًا
وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرَزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبَعَّثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابٌ يَنْهَمُمْ يَوْمَيْدٍ وَلَا
يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَنْ ثُقلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ
الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفُحُ جُوْهُرِهِمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَلِيلُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ
تَكُنْ إِيمَانِي تُثْلِي عَلَيَّكُمْ فَكَنْتُمْ بِهَا تُتَكَبِّرُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا سِقْوَتُنَا وَكُنَّا فَوْمًا
ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَلَمُونَ ﴿١٠٧﴾﴾

التفسير:

٩٣ - ٩٥. - قل أيها الرسول: يا رب إن أردت أن تريني قبل موتي ما تدعهم من العذاب في الدنيا، رب فلا تهلكني مع القوم المشركين. وإنماقادرون على أن نريك العذاب الذي وعدناهم به.

٩٦. - استمر في دعوتك، وقابل إساءة الكفار بالصفح والعفو، نحن أعلم بما يصيرونك به.

٩٧ - ٩٨. - وقل: يا رب أعتصم بقوتك من وساوس الشياطين وإغوايهم، وأستجير بك أن يكونوا معي في أي عمل من الأعمال.

٩٩ - ١٠١. - سيستمر المشركون على ضلالهم، حتى إذا رأى أحدهم علامات الموت قد أدركته ندم ودعا الله أن يرجعه إلى الحياة الدنيا؛ لكي يعمل عملاً صالحاً ثم يأتيه الجواب بالزجر: كلاً لا يكون شيء من ذلك، فإن هذه الكلمة التي فيها الندم المتأخر لا تنفع، وبينهم حاجز مانع من العودة إلى الدنيا، ويبقى إلى يوم البعث، ثم الحساب. فإذا نفخ الملك المكلف بالقرن الذي ينفح فيه النفحة الثانية لقيام الساعة فلا تنفعهم قرابة النسب، ولا يسأل بعضهم بعضاً لأنشغاله بهموم نفسه.

١٠٤ - فَمَنْ رَجَحَتْ حُسْنَاتِهِ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْدَرَجَاتِ الْعَالِيَّةِ، هُمُ الْفَائِزُونَ بِالْجَنَّةِ. وَمَنْ زَادَتْ سَيِّئَاتِهِ عَلَى حُسْنَاتِهِ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ ضَيَّعُوا أَنفُسَهُمْ بِالضَّلَالِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، مَا كَثُونَ فِيهَا أَبَدًا، تُحْرَقُ النَّارُ وَجُوَهُهُمْ، وَهُمْ فِيهَا عَابِسُونَ مُشَوَّهُو الْوِجْهِ.

قال الشيخ الشنقيطي : «ما ذكره جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة : أنَّ الكفار تلفح وجوههم النار ، أي : تحرقها إحراقاً شديداً ، جاء موضحاً في غير هذا الموضع ، قوله تعالى : ﴿يَوْمَ نُقْلِبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ﴾ [الأحزاب: ٦٦] الآية ، وقوله تعالى : ﴿وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَاتِ فَكَبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ﴾ [آل عمران: ٩٠] .

١٠٥ - وَيَقَالُ لَهُمْ تَوْبِيَّخًا وَإِنْكَارًا عَلَيْهِمْ : ألم تكن آيات القرآن تُقرأ عليكم في الدنيا ، فكتم بها لا تُصدّقون؟

١٠٦ - قَالُوا وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ مُعْتَرِفُونَ : يَا رَبَّنَا كَثُرَتْ مَعَاصِنَا بِسَبَبِ أَهْوَائِنَا ، وَكَنَّا فِي ذَلِكَ ضَالِّينَ عَنِ الْهُدَىِ ، يَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ إِلَى الدُّنْيَا ، إِنَّ رَجْعَنَا إِلَى الْكُفُرِ فَإِنَّا ظَالِمُونَ لِأَنفُسِنَا .

الفوائد والاستنباطات:

١ - العَدُوُّ الشَّيْطَانِيُّ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ الْإِحْسَانُ، وَلَا يَنْفَعُ مَعَهُ إِلَّا الْاحْتِمَاءُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ .

٢ - من سمات التربية القرآنية العناية بهداية المؤمن عبر مراحله كلها والاهتمام بصحة مسلكه في أوله وأخره ، ومن دلالات الاستعاذه التربوية حماية المؤمن ابتداء وانتهاء؛ لأن المؤمن محتاج إلى الاعتصام بالرب سبحانه ، الحافظ له من إغواءات الشيطان ونزغاته في البدايات والنهايات ، فهو محتاج إلى الله تعالى ليعيذه من كيد الشيطان عند إرادة العمل ، ومحتاج إلى الله تعالى ليعيذه في أثناء قيامه به ، ومحتاج إلى الله تعالى ليثبته عليه ويختتم له به .

٣ - تَمَنَّى الْإِنْسَانُ الْعُودَةَ إِلَى الدُّنْيَا عَنْدَ الْمَوْتِ؛ لِيَتَدارَكَ مَا فَاتَهُ .

٤ - في الآيتين (٩٩ - ١٠٠) إخبار مستقبلي عن حال المشرك الذي ظلَّ على شركه إذا أشرف على الموت ، وشاهدَ ما أُعْدَ له من العذاب ، فإنَّه

يقول : رب رُدَنِي إِلَى الدُّنْيَا لِعَلَّي أَسْتَدِرُكَ مَا ضَيَّعْتُ مِنَ الْإِيمَانِ وَالطَّاعَةِ ، فَإِنَّهُ لِيْسَ لَهُ ذَلِكَ .

٥ - اعتراف أهل النار بتقصيرهم وضلالهم لا ينفعهم شيئاً .

﴿قَالَ أَخْسِرُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا أَمَّا فَأَغْفِرُ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٦﴾ فَأَخْذَنَّتُهُمْ سَخْرِيًّا حَتَّى أَنْسُوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَبَّحُوكُنَّ ﴿١١٧﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَاسِدُونَ ﴿١١٨﴾ قَلَ كُمْ لِيَشْتَمِ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِرِينَ ﴿١١٩﴾ قَالُوا لَيْسَنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَأَلَ الْعَادِيْنَ ﴿١٢٠﴾ قَنَلَ إِنْ لِيَشْتَمِ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٢١﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْتُكُمْ عَبْثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١٢٢﴾ فَتَعْلَمَ اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيرِ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهَاهَا إِلَّا هُوَ بِرْهَنَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حَسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكُفَّارُونَ ﴿١٢٤﴾ وَقُلْ رَبِّ أَغْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٢٥﴾

التفسير:

١٠٨ - فجاءهم الجواب حافلاً بالزجر والتحذير: اسكتوا أذلاء مُهانين، ولا تخططوني أبداً.

١٠٩ - ١١١ - إنَّهُ كان جماعة من عبادي المؤمنين يقولون: يا ربنا صدقاً بك وبرسلك، فاغفر لنا ذنبينا، وارحمنا فلا تعذبنا، وأنت أرحم الراحمين. فكنتم تُسخرون منهم دائماً حتى أنساكم الانشغال بالسخرية عن طاعتي وعبادتي، وكنتم منهم تضحكون استهزاءً. إنِّي جزيتهم اليوم بسبب صبرهم على أذاكم أحسن الجزاء بالفوز بالجنة. قال الشيخ الشنقيطي: «قد تقرر في الأصول في مسلك الإيماء والتنبيه، أنَّ (إن) المكسورة المشددة من حروف التعلييل كقولك: عاقبتُه إنَّه مسيء، أي: لأجل إساءته. قوله في هذه الآية: ﴿إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي﴾ الآيتين، يدل فيه لفظ «إن» المكسورة المشددة على أنَّ من الأسباب التي أدخلتهم النار هو استهزاؤهم، وسخريتهم من هذا

الفريق المؤمن الذي يقول: ﴿رَبَّنَا إِمَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَرَحْمَنَا وَإِنَّ خَيْرَ الرَّحِيمِينَ﴾ فالكافر يُسخرون من ضعفاء المؤمنين في الدنيا، حتى يُنسِّيهم ذلك ذِكْرَ الله، والإيمان به فيدخلون بذلك النار».

١١٢ - يخاطبهم الله تعالى على وجه اللوم: كم مكثتم في الحياة الدنيا؟ فأجابوا بذهول: مكثنا يوماً أو أقل، فاسأله الذين يحسّبون الأيام، قال: ما لبّشتم في الأرض إلا زماناً قليلاً، لو كنتم تعلمون ذلك لعَرَفْتُم حقارة الدنيا.

١١٥ - أظنتم - أيها العباد - أنّما خلقناكم سدىً وباطلاً بلا ثواب ولا عقاب، وأنّه لا رجوع لكم إلينا للحساب؟ ليس الأمر كما ظنّتم، فتَنَزَّهَ الله المَلِكُ الحق عن أن يخلق الْخَلْقَ سُدّى وَهَمَلاً، لا ربّ سواه، ربُّ العرش الكريم.

١١٧ - ومن يجعل مع الله إلهاً آخر لا حُجَّة له بذلك - إذ لا معبد بحق إلا الله - فإنّما عقابه عند ربّه يوم القيمة. إنّه لا يفوز الجاحدون.

١١٨ - وقل أيها الرسول: يا ربّ اغفر لي وللمؤمنين، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير الراحمين، فإنّ رحمتك وسعت كل شيء.

الفوائد والاستنباطات:

١ - قال ابن عاشور: «في حذف متعلق ﴿أَغْفِرْ كَرَّمَ﴾ تفويض الأمر إلى الله في تعين المغفور لهم والمرحومين، والمراد منْ كانوا من المؤمنين، ويجوز أن يكون المعنى: اغفر لي وارحمني، بقرينة المقام. وأمْره بأن يدعو بذلك يتضمن وعداً بالإجابة. وهذا الكلام مُؤْذِنٌ بانتهاء السورة، فهو من براعة المقطع». (التحرير والتنوير: ١١١/١٨).

٢ - حرمة السخرية من المسلم، والاستهزاء به.

٣ - لا حُجَّة للمشرك على شِرْكِه؛ ولذا فهو مستحق للعذاب.